تعريف بكتاب

تسهيل النظر وتعجيل الظفر

في اخلاق الملك وسياسة الملك لابى الحسن الماوردي المتوفي ٤٥٠هـ

محيى هلال السرحان

إن من الرجال الذين يزدان بهم تاريخ امتنا الحافل بالآيات الساطعة على قدرتها واصالة فكرها والذين سهلوا النظر في عظيم تشريعات هذه الامة واظهار مكنوناتها وكنوزها الفكرية ، عالماً جليلا ، برز في عهد عصيب ، فأبلى البلاء الحسن في تدوين الجليل من الفروع الفقهية على وفق المذهب الشافعي ، والشذرات المضيئة من لوامع السياسة الشرعية ، والنوادر العملية من الاحكام الدينية ، والفضائل الخلقية ، والآداب الاجتماعية ، فأعطى للساسة والقادة والعامة نماذج رائعة للحكم والقيادة والسلوك ، ذلكم هو أقضى القضاة الامام أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي (المتوفى سنة ٤٥٠هـ) الذي يسعدني ويشرفني أن أتقدم بتحقيق احد كنوزه الفكرية في المجالين السياسي والاجتماعي ، وبعد تحقيقي لجزءين فقط من كتاب (أدب القاضي) الذي هو قسم كبير من موسوعته الضخمة المسماة بالحاوي الكبير في الفقه الشافعي .

والذي دعاني الى اختيار تحقيق هذا الكتاب — اعني كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر — أنني وجدته فلكاً مشحوناً بالفوائد العملية والنظرية لسياسة البلدان وعمارتها ، وذخيرة لا تنفد من الحكم الجاهزة والاقوال السديدة ، وكانت عصارة تجارب الشعوب التي التقت ثقافتها في بغداد مهد العلم والمعرفة آنذاك ، فاستطاع ان يمزج بينها ، ويبوبها ، ليقدم زادا فكرياً ينفع الراعي والرعية على السواء .

وقد سلكت في ذلك نحوا يتمثل في التقديم المبتسر عن حياة المؤلف وكتبه ولا سيما بعد ان ذكرت جوانب من ذلك في مقدمة كتاب ادب القاضي ، فلا حاجة للاطالة هنا ، بل اقتصرت هنا على ما يتصل بكتاب تسهيل النظر فقط .

المـــاوردي(١)

اسمه ونسبه ونسبته :

هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي ، أقضى القضاة . والماوردي نسبة الى بيع ماء الورد وعمله .

ولادته ووفاته :

ولد بالبصرة سنة (٣٦٤هـ — ٩٧٤ م)

وتوفي ببغداد يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الاول من سنة خمسين واربعمائة (اي ٣٠ ربيع الاول ٤٥٠هـ = ٢٧ حزيران ١٠٥٨م) ودفن بباب حرب في بغداد يوم الاربعاء مستهل شهر ربيع الآخر منها .

مجمل حياته (٢)

تلقى تعليمه الاول في البصرة وتتلمذ على أبي القاسم الصيمري (عبدالواحد بن الحسين المتوفى بعد ٣٨٦ هـ) ونشأ في اسرة تحب العلم . وبعد أن أتم تعليمه هناك رحل الى بغداد ، وانضم الى حلقات شيوخها ومنهم ابو حامد الاسفرايني (أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد المتوفى ٤٠٦ هـ) وعلى أبي محمد البافي (عبدالله بن محمد البخاري المتوفى ٣٩٨ هـ) وغيرهما وبعد ان درس كثيراً اختير للقضاء

(١) انظر مصادر ترجمته في هامش ١٣ ، ١٥ من الجزء الاول من كتاب ادب القاضي للماوردي بتحقيقنا ، ويضاف هنا الى الكتب المطبوعة مايلي .
طبقات المفسرين لمحمد بن علي الداوودي المالكي ١/٤٢٣-٤٢٥ رقم الترجمة ٣٦٨ ، طبقات الشافعية للاسنوي ٢/٣٨٧-٣٨٨ رقم الترجمة ١٠٣٢ ، الماوردي (الاحكام السلطانية والولايات الدينية — نظريته السياسية على ضوء بيئته التاريخية) لحازم طالب مشتاق (المطبعة العربية بغداد ١٩٧٠) .
نظرية الماوردي في الخلافة (فصل من كتاب دراسات في حضارة الاسلام) لهاملتون جب (دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٤) ، ص ١٩٨-٢١٨ ، الماوردي بين التاريخ والسياسة للدكتور سعد زغلول عبد الحميد (مطبعة جامعة الاسكندرية ١٩٧٢) ، في ٦٧ صفحة .
(٢) للاستزادة والتفصيل يرجع الى ماكتبناه في مقدمة ادب القاضي للماوردي ص ١٤-٩٦

ببلدان كثيرة ، ثم عاد الى بغداد فدرّس بها عدة سنين ، وحدّث فيها ، وفسّر القرآن ، وألف فيها كتبه ، ثم لقّب باقضى القضاة في سنة ٤٢٩ هـ وهو لقب يمنح لأول مرة ويعني تقلده العمل والتحاقه بالخليفة لخدمته .

ثم اختير للسفارة بين الخليفة وبني بويه ، ثم بينه وبين السلاجقة وظل متصلا متصلا بالخليفة حتى في اخريات ايامه يشا ركهم في حل المشاكل والخصومات ، ويحضر افراحهم واحتفالاتهم فعاش ستاً وثمانين سنة مليئة بالاحداث الجسيمة في عصر مضطرب قاس ، كان فيه مثال الرجل المتمسك بدينه ، ولم يأل جهداً في النصح وقول الحق ، ولو ادى ذلك الى غضب الخليفة . كما يتمثل في حادثة تلقيب جلال الدولة بن بويه بلقب شاهنشاه الاعظم ملك الملوك ، فامتنع الماوردي من ذلك ، وان افتى بجوازه بعضهم ، وانقطع عن جلال الدولة الا ان الاخير شكر له موقفه وايثاره الحق ، فاعاده الى مكانه ، بعد انفصال دام اكثر من شهرين .

لقد عاش حياته في تواضع مع منصبه وجاهه وماله الوفير ، وفي صراحة بالغة مع وجود المتملقين ، وفي تأليف غزير ، مع انشغاله بالاحداث الجسام ، فكان أمرا عجيباً ، حتى حكيت عنه الكرامات .

ولقد بلغ من العلم ان تسنم زعامة الشافعية في عهده ونظر اليه الفقهاء نظرة اجلال فكانوا يقتبسون آراءه . لما عهد فيه من سلامة الاجتهاد وغزارة الحفظ ، مما جعله يوسع الفقه الشافعي ويزيد في تفريعاته باجتهاده الواسع حتى ان ابن الصلاح لما راى سعة علمه وكثرة تفريعاته وذكره لآراء كثيرة رماه بالاعتزال وان كان بعيدا عن ذلك .

لقد كان — رحمه الله — فقيها ، مفسرا ، اصوليا ، اديبا ، شاعرا لغويا ، مؤرخا ، مربيا ، قاضيا ، سياسيا ، صوفيا ، جغرافيا ، فيلسوفا ، محدثاً .

والعجب كل العجب ان تجتمع هذه الصفات كلها لواحد ، فسبحان الله رب العالمين .

شيوخه في الحديث :

روى الماوردي الحديث عن الحسن بن علي بن محمد الجبلي ، ومحمد بن عدي بن زحر المنقري ، ومحمد بن المعلى الازدي ، وجعفر بن محمد بن الفضل البغدادي وغيرهم .

تلاميـــذه :

تفقه عليه كثيرون : منهم الخطيب البغدادي (المتوفى ٤٦٣هـ) ، وابن خيرون (المتوفى ٤٨٨هـ) وعبدالملك بن ابراهيم ابو الفضل الهمذاني الفرضي المعروف بالمقدسي (المتوفى ٤٨٩هـ) وابو الفضائل محمد بن احمد الربعي الموصلي (المتوفى ٤٩٤هـ) .

من رواة الحديث عنه :

روى الحديث عنه جماعات غفيرة منهم : على بن سعيد ابو الحسن العبدري (المتوفى ٤٩٣ هـ) ومهدي بن علي الاسفرايني القاضي ، وعبدالواحد بن عبدالكريم ابن هوازن وهو ابوسعيد بن ابي القاسم القشيري الملقب ركن الاسلام (المتوفى ٤٩٤هـ) واخوه عبدالرحمن(المتوفى ٤٨٢هـ)،وعبدالغني بن نازل ابو محمدالمصري الالواحي (المتوفى٤٨٦ هـ) ، واحمد بن علي بن بدران ابو بكر الحلواني (المتوفى ٥٠٧ هـ) وابو الغنائم محمد بن علي بن ميمون النرسي الكوفي العرني المعروف بابن المقرى (المتوفى ٥١٠ هـ) ومحمد بن احمد بن عمر ابو عمر النهاوندي (المتوفى ٤٩٧هـ) وجماعات كثيرة آخرها احمد بن عبيدالله بن كادش العكبري ابو العز (المتوفى ٥٢٦ هـ) .

كتب الماوردي :

للماوردي عدد من الكتب هي :

(١) كتاب تفسير القران : ويسمى (النكت والعيون) لم يطبع

(٢) كتاب الحاوي الكبير في الفقه الشافعي ، وهو كتاب كبير جدا وقد وقع في في بعض النسخ في ثلاثين جزءاً ، لم يطبع منه الا كتاب ادب القاضي بجزئيه الاول والثاني اما الثالث والرابع فهما في طريقهما الى الطبع ان شاء الله تعالى .

(٣) كتاب الاقناع في الفقه الشافعي ، مفقود .

(٤) كتاب في البيوع مفقود .

(٥) كتاب اعلام النبوة مطبوع .

(٦) كتاب الاحكام السلطانية مطبوع .

(٧) كتاب قوانين الوزارة وسياسة الملك مطبوع باسم (ادب الوزير المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك .)

(٨) كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر وهو هذا الكتاب
(٩) كتاب نصيحة الملوك مخطوط لم يطبع .
(١٠) كتاب في النحو ، مفقود .
(١١) كتاب الامثال والحكم ، مخطوط .
(١٢) كتاب ادب الدنيا والدين ، مطبوع

كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر :

١ـ ذكره بين كتب الماوردي :

اعلم ان كثيراً ممن ترجموا للماوردي لم يذكروا كتبه بالتفصيل (١) اعتمادا على شهرتها وانتشارها بينهم .

كما ان الذين ذكروا كتبه بالتفصيل كان كثير منهم قدأغفل ذكر هذا الكتاب بين كتبه فعلى الرغم من ان كلا من المنتظم (٢) ووفيات الاعيان (٣) وطبقات ابن السبكي (٤) والنجوم الزاهرة (٥) ، والمختصر في اخبار البشر (٦) ، ومفتاح السعادة (٧) ، والعبر (٨) ، وتاريخ الاسلام (٩) ، ومرآة الجنان (١٠) ، وطبقات ابن قاضي شهبة (١١) وتاريخ ابن الوردي (١٢) ، وروضات الجنات (١٣) ، وعقدالجمان للعيني (١٤) ، وطبقات المفسرين للسيوطي (١٥) ، وشذرات الذهب (١٦) ، والكنى والالقاب للقمي (١٧) ، وغيرهم ، قد ذكروا كتبه بالتفصيل الا اننا لا نجد لهذا الكتاب ذكرا عندهم . بل لا نجد للكتاب ذكرا الا في ثلاثة من كتب المتقدمين ، ونقل عنهم المحدثون .

واقدم من ذكر هذا الكتاب هو ياقوت الحموي (١٨)(المتوفى في٦٢٦هـ)

وذكره من بعده صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (١٩) (المتوفى سنة ٧٦٤ هـ) .

---

(١) انظر قائمة المصادر في مقدمة ادب القاضي ١/١٤-١٦ عدا ماسنذكر الان .
(٢) جـ٨ ص ١٩٩ (٣) جـ٢ ص ٤٤٤ (٤) جـ٣ ص ٣٠٣ (٥) جـ٥ ص ٦٤ .
(٦) مجلد ١ جـ٤ ص ٨٥ . (٧) مجلد ١ ص ٢٦٤ ومجلد ٢ ص ١٩٠-١٩١ .
(٨) جـ٣ ص ٢٢٣ (٩) مخطوط نسخة ايا صوفيا جـ١١ ص ٤٨٤-٤٨٥
(١٠) جـ٣ ص٧٢ (١١) مخطوط نسخة كوبر يللي الورقة ٣٦آ
(١٢) وهو المسمى بتتمة المختصر في اخبار البشر جـ١ ص ٣٦٥ (١٣) جـ٣ ص ٤٨٣
(١٤) مخطوط نسخة ولي الدين باستنبول جـ٢٥ ص ١٦٨ (١٥) ص٢٥ (١٦) جـ٣ ص ٣٨٦
(١٧) جـ٣ ص ١١٦ (١٨) معجم الادباء جـ١٥ ص٥٢
(١٩) الوافي بالوفيات مخطوط نسخة المتحف البريطاني جـ١٢ الورقة ١٥٤ ب

ثم جاء من بعدهم حاجي خليفة (١) (المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ) .

ثم جاء المتأخرون فنقلوا عنهم :

فقد ذكره اسماعيل باشا البغدادي (٢) (المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ) .

ثم جاء بروكلمان (٣) ، ووستنفلد (٤) ، ناقلين عن مفهرس مكتبة غوته (٥) ، وتبعهم جرجي زيدان (٦) ، وفاجنان (٧) ، وعبدالعزيز امين الخانجي (٨) ، ومصطفى السقا (٩) ، وسعيد عبدالفتاح عاشور (١٠) ، والزركلي (١١) .

اختلافهم في تسمية الكتاب :

ثم ان الذين ذكروا هذا الكتاب ضمن تآليفه اختلفوا في تسمية الكتاب :

فقد ذكره كل من ياقوت (١٢) والصفدي (١٣) باسم «تعجيل النصر وتسهيل الظفر» ولم يتابعهما على ذلك احد .

وذكره حاجي خليفة (١٤) باسم « تسهيل النصر وتعجيل الظفر » وتابعه في ذلك عبدالعزيز أمين الخانجي (١٥) .

اما اسماعيل باشا البغدادي (١٦) فقد ذكره باسم «تسهيل النظر وتعجيل الظفر» وتابعه على هذه التسمية سائر المحدثين ، واكتفى الزركلي (١٧) باسم «تسهيل النظر فقط .

---

(١) كشف الظنون ١/٤٠٨ (٢) هدية العارفين ١/٦٨٩ .

(٣) تاريخ الادب العربي (بالالمانية) . Br. G.L.S. 1/668 .
ودائرة المعارف الاسلامية بالانكليزية (مادة الماوردي) Encyclop. 3/416.

(٤) F. Wustenfeld, Schaftiton No. : 395

(٥) Pertsch, W. Die arabischen der Herzoglichen Bibliothek zo Gotha No. 1872.

(٦) تاريخ اداب اللغة العربية ٢/٣٨٥ .

(٧) E. Fagnan : Mawerdi Les Status gouvernmentaux ou Regles de drcit et administratif traduits et annotes (Alger, 1915)

(٨) مقدمة كتاب ادب الوزير في الصفحة (ح) .

(٩) مقدمة كتاب ادب الدنيا والدين .

(١٠) مقال بعنوان : الاحكام السلطانية ، مجلة تراث الانسانية المجلد الخامس ٢١-٢٢ .

(١١) الاعلام ٥/١٤٦ .

(١٢) معجم الادباء : ١٥/٥٢ (١٣) الوافي بالوفيات ج١٢ الورقة ١٥٤ ب .

(١٤) كشف الظنون ١/٤٠٨ . (١٥) مقدمة ادب الوزير الصفحة (ح) .

(١٦) هدية العارفين ١/٦٨٩ . (١٧) الاعلام ٥/١٤٦ .

ترجيح تسميته باسم تسهيل النظر وتعجيل الظفر :

وفي خضم هذا الاختلاف ترجح لدينا تسميته باسم تسهيل النظر وتعجيل الظفر لامـــور :

١ــ لأن اسماعيل باشا البغدادي قد ذكر ذلك .

٢ــ ولأن تسمية حاجي خليفة مقاربة لهذه التسمية، ويحتمل فيها حدوث التصحيف فكلمة « النظر » تتصحف بسهولة الى « النصر » فضلا عن انه قال في نفس الموضع بعد ذكر العنوان السابق : « ورأينا في نسخة مكتوبة سنة ٧٠٣ هـ أنه تسهيل النظر (بالظاء المعجمة) وتعجيل الظفر في اخلاق الملك وسياسة الملك»(١)

٣ــ ولان العنوان على ظهر نسخة مكتبة غوته قد ورد بهذه التسمية .

٤ــ ولأن نسخة طهران ابتدأت بقولها : « قال أقضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري في أثناء خطبته في كتابه الملقب بتسهيل النظر وتعجيل الظفر في اخلاق الملك وسياسة الملك اما بعد . . . الخ » .

٥ــ ثم ورد في خطبة الكتاب أنه ترجمه بهذا الاسم .

كل ذلك جعلني ارجح ان يكون اسم الكتاب هو « تسهيل النظر وتعجيل الظفر » فاخترت ذلك وثبّته في رسم الكتاب .

واما الزيادة على العنوان وهي قوله (في اخلاق الملك وسياسة الملك) فهي زيادة من نسخة مكتبة كلية الاداب في طهران ومما ذكره حاجي خليفة ناقلا عما رآه في نسخة أخرى كما مر .

ومن الله التوفيق .

ما الف في اخلاق الملك وسياسته قبل الماوردي

لا شك ان الكتابة في موضوع السلطان ونصيحته وخدمته قد حظيت بسهم وافر من العناية منذ بدأ التدوين والتأليف ، ولنظرة واحدة في كتاب الفهرست لابن النديم ترينا مقدار جهودهم في ذلك ، وقد حاول (روزنثال) أن يبوب تلك الكتب التي ذكرها ابن النديم ، فذكر منها ما يخص الدولة ،ومايخص السياسة وآداب السلطان ،

(١) كشف الظنون ١/٤٠٨ .

وما يخص الوزراء ، والكتاب ، والولاة ، والقضاء ، والشرطة ، والعهود ، والنظم ، والمالية ، وغير ذلك (١) مما يتعلق بالنظم السياسية والاجتماعية والمالية .

ومي الكتب المؤلفة في السياسة : ما اشار اليه أحمد زكي باشا في مقدمة تحقيقه لكتاب التاج في أخلاق الملوك للجاحظ (٢) ، واشار اليه عبدالله مخلص في مقدمة كتاب الاشارة الى من نال الوزارة لابن الصيرفي (٣) ، وما تعقبه به ميخائيل عواد في في مقدمة تحقيقه لكتاب رسوم دار الخلافة لهلال بن المحسن الصابي (٤) . فلا حاجة لاعادة ذلك هنا .

ونضيف هنا قائلين : ان هذا الموضوع قد حظى بعناية الفقهاء ايضاً ، فلم يؤلف أحدهم كتاباً فقهياً جامعاً إلاّ وخصص لتقليد الامام او القاضي فيه فصلا ، ولآدابهما ايضاً ، وبيان الخلاف الجاري بينهم في تقليد كل واحد منهما .

كما انه حظى بعناية مؤلفي كتب المختارات والمحاضرات التي اخذت تعنى بالتبويب والترتيب ، من امثال ابن قتيبة في عيون الاخبار ، والجاحظ في البيان والتبيين ، والمبرد في الكامل وغيره ، وابن عبد ربه في العقد الفريد وغيرهم .

ولكن للماوردي مكانا خاصا بين هؤلاء المؤلفين :

مكانة الماوردي بين المؤلفين في هذه الموضوعات

اما مكانته فتتمثل في ما يلي :

١ــ انه أفرد اربعة كتب للسياسة فضلا عن كتابه (الحاوى الكبير) الذي تناول فيه علوم الفقه على وفق المذهب الشافعي وآراء هذا المذهب في كل فرع صغير او كبير ، وفضلا عن تفسير (النكت والعيون) الذي شرح فيه آيات كثيرة تتناول السياسة وآداب السلطة .

---

(١) ف . روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين ترجمة الدكتور صالح احمد العلي (مكتبة المثنى بغداد ١٩٦٣) ص ٢٩٣–٢٩٧ .

(٢) طبع طبعته الاولى في المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٣٣٢/١٩١٤ ص ٤٧ .

(٣) مقتطف من مجلة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية المجلد السادس والعشرين ١٩٢٥ ص ٨–١١ .

(٤) طبع بمطبعة العاني بغداد ١٩٦٤ ص ٤٧–٦٣ .

تلك الكتب هي الاحكام السلطانية ، وأدب الوزير ، ونصيحة الملوك ، وتسهيل النظر هـــذا .

وكل كتاب له موضوعه المستقل عن الآخر ، وان كانت هناك بعض الامور المشتركة ، وهي ما يتصل بالامور الدستورية والاقتصادية والاجتماعية .

٢ــ انه خبر السياسة كثيرا بما تحمل من العناء الكثير لاجلها بسبب اضطراب الوضع السياسي آنذاك ، فكان يبذل الجهود ما وسعه في النصح للاطراف المتنازعة المتمثلة في الخليفة وحاشيته ، والبويهيين ، والسلاجقة ، والدويلات التي عاصرها ، ولذلك فان تآليفه اتسمت بالواقعية وايجاد الحكم الشرعي للمسائل المتجددة التي يعيشها ، ولم تكن موجودة من قبل ، ولم يكن افتراضياً فقط كما هو شأن الفقهاء .

ولذلك فقد أغنى التشريعات بما استنبطه من احكام للحوادث التي طرأت فقد بحث في وزارة التفويض ووزارة التنفيذ واحكام الغاصبين ، وولاياتهم ، والولايات المستجدة على عصره .

٣ــ لقد استفاد من الثقافة الواسعة التي توفرت لديه فالتقت في تآليفه الثقافات المختلفة فهو فقيه شافعي مجتهد ، يصدر عن أصول الفقه الشافعي ، ولذلك فهو يصدر عن ينبوع قرآني أولا ، ثم يعمد الى الحديث النبوي الشريف ، فيقتبس منـــه ما يشفي غلته ، ثم كثيرا ماينقل من أقوال حكماء الفرس اوالروم او الهنود وغيرهم ، تجد ذلك ماثلا في الحكم العديدة التي استطاع بها ان يثبت ان له حافظة غزيرة وعقلا واعيا مدركا .

٤ــ ولم تنطمس شخصيته في ما يروي ويختار ، كما هو شأن غيره ، بل كان مختارا ومنشئا معا ، فهو يعقد الباب ويتكلم عنه بكلامه الرائع ، ثم يتبع ذلك بما يؤيده من الاقوال والابيات . وقد ينقد تلك الاقوال .

وسيأتي فضل كلام حول قيمة الكتاب مما يتصل بهذا الموضوع في موضوع (قيمة كتاب تسهيل النظر) بعد قليل ان شاء الله تعالى فليلاحظ .

ما سمي من الكتب باسم اخلاق الملوك قبل الماوردي

تبرز من بين قوائم الكتب الضخمة المؤلفة في السياسة ثلاثة كتب سميت باسم أخلاق الملوك هي :

١ــ أخلاق الملوك ، أو أختلاف الملوك للفتح بن خا قان (١)
٢ــ أخلاق الملوك لمحمد بن الحارث التغلبي او الثعلبي (٢)
٣ــ التاج في أخلاق الملوك المنسوب للجاحظ (٣)

موضوعات كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر للماوردي :

بدأ المؤلف كتابَهُ ببيان أن الناس مختلفون ، وانهم بحاجة الى إمرة سلطان ينقاد الناس لطاعته ، ليتحقق التعاون بين الناس ومن ثم السعادة في دنياهم وأخراهم .

وجعل الكتاب على بابين :

الباب الاول في اخلاق الملك :

وتناول فيه الاخلاق التي تحدث للنفس ، فهي ضربان :

فاما الضرب الاول فأخلاق الذات :

وأخلاق الذات من نفائج الفطرة التي يطبع الانسان عليها فتصير له كالخلقة سواء حمدت أم ذمت ، ثم بين من هو الفاضل ، والى أي شيٍ تعود تلك الاخلاق ، وهل تراد فضائل الذات لذواتها ، او للسعادة الحادثة عنها ، وضرورة اهتمام ذي الامرة والسلطان بمراعاة اخلاقه واصلاح شيمه .

ثم بين أن أخلاق الذات على نوعين : غريزية ،ومكتسبة ، وأيهماأفضل ، وبيّنَ أوائل الفضائل وأواخرها ، واوائل الرذائل واواخرها ، ثم عرّف كلاً منهما ، وبيّن أن الفضائل توسط محمود بين رذيلتين ، وان تلك الفضائل قد تتركب مع غيرها لتنتج فضائل اخرى ، وقد تكون لكثير من الاخلاق نتائج تؤول الى رذائل .

واما الضرب الثاني فافعال الارادة :

وافعال الارادة تصدر عن أسباب باعثه عليها ،وهي العقل والرأي والهوى ،ثم بين هذه الامور ، والفروق بينهما . ثم بين حاجة العقل الى التجارب ، وحاجة ذوي الامرة الى العقل المتلقح بتجارب الماضين ، وبالاخلاق الصالحة ، فيبدأ اول ما يبدأ بسياسة نفسه ، وتقويمها ، وعدم تحسين الظن بها ، وقمع الكبر والاعجاب المؤديين

(١) الفهرست : ١٧٦
(٢) الفهرست : ٢١٨ ، والسخاوي : الاعلان بالتوبيخ ص ١٥٧ ، وذكر الاستاذ احمد زكي باشا انه طبع في بولاق باسم اخبار الملوك (مقدمة كتاب التاج في اخلاق الملوك للجاحظ ص ٤٧) .
(٣) اشرنا قبل قليل الى طبعته الاولى .

الى حسن الظن بها ، وتأديبها بالكرم والمروءة والوقار ،والتثبت عند الشبهات ، ولزومه الصمت والصدق والاناة ، والصبر ، وكتمان اسراره ، والمشورة ، والوفاء بالعهد ،وترك ما يقابل ذلك من الاخلاق السيئة ، ثم يتصفح اعماله ، وليضرب المثل الحسن للناس في السياسة والمعاملة والخلق الحسن .

والباب الثاني في سياسة الملك :

فبعد ان بين انه ينبغي ان يسير السيرة الحسنة ،وان يكون افضل الناس دينا ، وذكر ان قواعد الملك تستقر على امرين :

١ــ تأسيس الملك :

وهو تثبيت اوائل الملك ومباديه ، وارساء قواعده ومبانيه ، وتكون على اقسام ثلاثة :
تأسيس دين ٠
وتأسيس قــوة ٠
وتأسيس مال وثروة ٠
واثبتها واقواها التأسيس الذي يقوم على الدين ٠
وبحث في كل نوع من هذه الانواع وخصائصه . وما يتوجب اتباعه في كل نوع

٢ ــ سياسة الملك :

وبعد ان ذكر تأسيسه واستقراره بيّن أنه يحتاج الى التدبير المحكم الذي يساس به الملك ويقاد ، فذكر أنّ سياسة الملك تعتمد على اربع قواعد هي : ــ

أ ــ عمارة البلدان :

فان عمارة البلدان تختلف باختلاف طبيعتها : فهناك بلاد مزارع ، وهناك بلاد أمصار وحواضر ، ولكل نوع من هذين النوعين نمط عمارة يختص بها ، وحقوق تلزم مدبر الملك ان يقوم بها حفظاً لها :

فأما المزارع فهي أصول المواد التي يقوم بها اود الملك وتنتظم بها احوال الرعايا ، فصلاحها خصب وثراء ، وفسادها جدب وخلاء وهي الكنوز المدخرة ، والاموال المستمدة ، واي بلد كثرت ثمارة ومزارعه استقل بخيره ، وفاض على غيره ، فصارت الاموال اليه تجلب ، والاقوات منه تطلب ، وهو بالضد ان قلت او اختلت .

فلزم مدبر الملك فيها ثلاثة حقوق : القيام بمصالح المياه ، وحماية ذلك البلـد من مطابع ذوي القوة ، وتقدير ما يؤخذ منهم بحكم الشرع ، ثم يشرح هذه الحقوق

اما الامصار والحواضر : فهي « الاوطان الجامعة التي يقصدها الناس طلباً للسكون ، وحفظاً للاموال ، وصيانةً للحُرَم . والتماسَ ما تدعوه اليه الحاجة من متاع ، وصناعة ، والتعرض للكسب وطلب المادة ، فاذا عدم احد هذه الامور ، فليست من مواطن الاستقرار .

ويشترط في انشائها شروط ، وتقع على منشئها حقوق لساكنيها ، لتستكمل قواعد تابيدها ، فلا تتوى الا بقضاء محتوم ، وأجل معلوم .

ويبيّن أنواع تلك الامصار ، فهي إما مصر مزارع وسواد ، او مصر فرصة وتجارة ويعرّف كلّ نوعٍ ، ويذكر شروطه ، وما على مدبر الملك في كل نوع .

ب ـ حراسة الرعيـة .

واما حراسة الرعية فهي القاعدة الثانية لسياسة الملك بعد تأسيسه واستقراره ، فيلزم ذا الامرة في حقوق الاسترعاء عليهم عشرة اشياء ، بها تعدل سياسته وتتكرم سيرته ، وتسعد رعيتـه .

ثم يبين تلك الاشياء .

ج ـ تدبير الجنـد :

اما تدبير الجند فبهم ملك حتى قهر واستولى على قدر ، فان صلحوا كانت قوتهم له ، وان فسدوا كانت قوتهم عليه .

وتدبيرهم الذي يحفظ عليهم طاعتهم ، ويستخلص به نصرتهم يكون باربعة شروط ، ان استكملها صلحوا به واستقاموا له ، وان اختل بها فسدوا عليه ، وافسدوا ملكـه .

١ـ تقويمهم بالادب الذي يحفظ عليه وفور نجدتهم وكمال تجنيدهم .

٢ـ ان يرتبوا على حسب عَنَائهم في الحروب وذبّهم عن الملك ومسارعتهم الى الطاعة

٣ـ ان يقوم بكفايتهم حتى لا يحتاجوا ، ثم ناقش مذهب بعض الفلاسفة الاقدمين في عدم التوسعة على الجند .

٤ـ ان لا تنطوي عنه أخبارهم ولا تخفى عليه آثارهم .

د ــ تقدير الاموال :

والسياسة العادلة في تقديرها ان يعتبر بما استدام حصوله ويسهل وصوله لئــلا يثقل على الرعية ، وذلك معتبر بتقدير دخلها وخَرْجِها .

فاذا قوبل احدهما بالآخر فاما أن يفضل الدخل على الخرج ، وهو أحسن الاحوال ، او يقصر ، او أن يتكافأ . ثم يناقش كل حالة من هذه الحالات الثلاث .

أصل ما تبنى عليه السياسة العادلة :

واصل ما تبنى عليه السياسة العادلة في سيرة الرعية بعد حراسته للدين وتخير الاعوان اربع قواعد : الرغبة ، والرهبة ، والانصاف ، والانتصاف .

ويأخذ في بيان هذه القواعد ، وكيف تتحقق ، وساق لها كما هو شأنه الاقوال والحكم ، ثم ذكر شروط استقامة الملك بهذه القواعد الاربع .

حراسة الدين :

لان الدين والملك توأمان ، وبين أنه قد اجمعت كلمة الاقدمين على ذلك .

تهذيب الاعوان والحاشية :

واصل ما تبنى عليه قاعدة أمره في أختيارهم اختبارهم وسبرهم ، فيعطى كل واحد منهم مقامه المستحق ، ويتفقد بنفسه اشد ما يتفقد أربع طبقات وهم الوزراء ، والقضاة وامراء الاجناد ، وعمال الخراج ، وهم على صفات خاصة يجب توفرها ، وطبقة اخرى وهم المختصون بحراسة نفسه ، لابسياسة ملكه ، ووجوب استخلاصهم ممن نصح في خدمته ، وتوفرت فيهم الصفات التي تؤهلم لذلك .

اما ماسوى ذلك من الطبقات فيتفقدهم بحسب منازلهم من خدمته واخلاصهم الحقيقي ، وليحذر ان يستبطن او يسترسل الى أحد من عددٍ ، ذكرهم ، وبين احوالهم فذكر اثني عشر نوعاً حذّر من جعلهم في بطانته .

اشد ما يمنى به الملك في سياسة ملكه

واشد ما يمنى به الملك في سياسة ملكه شيئان :

١ــ فساد الزمان :

وهو نوعان : نوع حدث عن أسباب إلهيّة فيقابلها باصلاح سريرته وسرائر رعيته وبان يتطامن لها اذا طرقت ، ويتلطف في تلاقيها اذا هجمت ــ

ونوع حدث عن عوارض بشرية ، فيقابلها بالحزم حتى تنحسم ، وبالاجتهاد حتى تنتظم ، فليس ينشأ الفساد الا عن اسباب خارجه عن العدل والاقتصاد ، ولا تنحسم الا بحسم اسبابها ، فيتعرف على اسبابها ، ويتخيز الحل المناسب لهـــا .

٢— تغير الاعوان :

وهو نوعان : نوع يكون لفساد تعدى اليهم ، فيحسم اسبابه قبل تفاقمها ، فان اهملوا فلكل برهةٍ تمضي من زمانهم تأثير في استحكام فسادهم ، ثم يبين أنواع الفساد وكيفية حسمه .

ونوع يكون لفسادحدث منهم ، فهذا هو الداء الدغل ، والخطب العضل ، لاتصاله بهم ، وظهوره بعد استحكامه ، فيجب أن تقرر قواعد السياسة لتلافيه ، ويكون ذلك بمـــا يساس به الملك .

بم يساس الملك ؟

واذا كان كذلك فالملك يساس بثلاثة امور :

١— بالقوة في حراسته وحفاظه ، وهي مختصة بالعقل

٢— او بالراي في تدبيره وانتظامه ، وهو مختص بالتدبير والقوة والرأي على العموم في جميع الاحوال والاعمال .

٣— او بالمكيدة في فل اعدائه ، فمن ضعف كيده قوى عدوه ولا تستعمل المكيدة الا مع الاعداء .

ثم يأخذ في بيان هذه الامور وانطباقها على احوال الملك التي هي :

احوال الملك

ثم بين ان احوال الملك ثلاثة :

١— تثبيت قواعد الملك وحراسته من الاعداء قبل استقراره وبعد استقراره وما ينبغي القيام به من الامور الثلاثة السابقة (وهي القوة والرأي والمكيدة) في كل حالـــة .

٢— تدبير الرعية واحوالهم في السلامة والسكون والاضطراب والفساد ، وما ينبغي القيام به من الامور الثلاثة في كل حالة .

ثم بين احوال الملوك مع رعيتهم ، فذكر اربع حالات لسلوك الملوك مع رعيتهم وحقيقة كل سلوك .

٣ــ استقامة الاعوان واحوالهم في السكون والدعة والتغير والفساد ، وما ينبغي القيام به من الامور الثلاثة السالفة الذكر في كل حالة .

اسباب التغير :

ثم ذكر اسباب التغير وحسم كل سبب بما يناسب الازمان والاعوان .

دوام التفقد للاحوال العامة :

ثم ينفقد على الدوام امورا كثيرة منها :

١ــ حماة البلاد ، وولاة الاطراف ، وقيادة الجيوش ، والاعتناء بهم ، وتقديم مصالحهم على مصالح نفسه ، وانزالهم المنزلة التي يستحقونها بكفايتهم ، وحسن اثرهم ، وبلائهم ، وحفظ مراتبهم في الاستحقاق ، وما يطرأ من خيانتهم وتوبتهم والمامه باحوالهم واخبارهم ، وعدم قبول السعاية في اصحابه ، باحوال ما تاخمه من البلاد . كما يحيط باخبار بلاده صغيرها وكبيرها .

٢ــ احوال النقود :

وللنقود اثر كبير في ازدهار التجارة . اذا كانت سالمةً من الغش والزيف ، وثابتةً في كل زمن ، ومأمونةً من التغيير ، فان نفعها يعمّ ، وصلاحها يتمّ ، وقد جعل الاقدمون ذلك دعامةً من دعائم الملك ، لانه القانون الذي يدور عليه الأخذ والعطاء ، ولست تجد فساده في العرف الا مقترنا بفساد الملك .

ثم يتبع في أخذها وعطائها ما وضعه الشرع ، فبين مقاديرها ووجوه مصرفها ، فان تجاوز حكم الشرع نفرت منه النفوس ، فليحذر مما حذره الله من تحيف عباده .

٣ــ أمن السبل والمسالك وتهذيب الطرق والمفاوز :

وليهتم الملك كل الاهتمام بأمن السبل والمسالك وتهذيب الطرق والمفاوز ، لينتشر الناس في مسالكهم آمنين ، وعلى أنفسهم وأموالهم مطمئنين ، لان ذلك صلاح البلاد وخصبها .

٤ــ الاعداء ومداهنتهم :

وليستعمل الملك مداهنة الاعداء قبل مكاشفتهم ، وليجعل المنابذة آخر ما يلجأ اليه ، فانه ينفق في المكايد من الاموال وينفق في المحاربة من النفوس ، ثم بيّن احوال الاعداء وما ينبغى للملك أن يتبعه في كل حالة .

٥ــ مساواة الملك نفسه برعيته :

وينبغي للملك وان كان بالملك مفضّلا ، معظماً ، وبالسلطان مطاعاً مقدماً ، وان يساوي بين نفسه ورعيته في الحق لهم وعليهم ، ويسوي بينهم ، فيجري الحكم على الخاصة والعامة ، ولا يقدم أحدا على احد لشيٍ الا في الحق ، فاذا أنصف تناصف الناس ، وليتقرب اليهم بطاعة الله في خلقه ، والقيام فيهم بحقه .

٦ــ حماية العلم والعلماء والدين واهله :

وينبغي للملك ان يعرف فضل العلم ، ويستبطن اهله ، لانهم للدين اركان ، وللشرع اعوان ، والدين اسّس الملك ونظامه ، وقد قاموا فيه بحقه ونابوا عن الملك في حفظه ، وبهم يعرف الحق من الباطل . فيكثر من جعلهم في بطانته والاعتماد عليهم في مشورته . لانهم انفع له في دينه ودنياه ، ولان في ذلك قوة لملكه لانه اذا استبطن العلماء قضى عليه الناس بالعلم ، وبعكسه يقضي الناس عليه بالجهل .

٧ــ السيرة العادلة بين الرعية :

وليسر برعيته سيرة عادلة ،ولا يحتجب عنهم ، ولا يعتسف فيهم ، بل يتصفح احوالهم ويفقد امورهم ، فينصف المظلوم ويأخذ على يد الظالم بالعدل ، ويعيد الحقوق الى اهلها ، فان مراعاة المظالم من قواعد السياسة في انتظام الملك ومصالح الرعـــايـــا .

وليكن من دأبهِ فعل الخير اما ابتداء من نفسه ، او اقتداء بالاخيار ، ليكون في الخير تابعا ومتبوعا ، وفي العمل به حامدا ومحمودا .

ثم ليكن ما يخلفه من جميل الذكر وحسن السيرة اماماً يقتدي به الاخيار ، ومثالا يزدجر به الاشرار ، فيسعد بعمله حيا ومفقودا ، فان ذلك انفس ذخائره يوم معاده ،فخير الناس أنفعهم للناس،فان الله يتكفل بمعونته وتأييده ، ويكون له على الخير ظهيرا مرشدا ، وعلى العدل معينا مسعدا .

سبب تأليف كتاب تسهيل النظر

لم يشر المؤلف الى سبب تأليف هذا الكتاب ؛ وقد اشار في بداية كتابه الاحكام السلطانية الى انه افرد كتاب الاحكام السلطانية بالتاليف امتثالا لامر من لزمت طاعته (١) ولكنه لم يبين ذلك الذي لزمت طاعته ، وتنصرف الاذهان في ذلك الى الخليفة القادر بالله (الذي حكم بين ٣٨١ — ٤٢٢ هـ) وابنه القائم بالله (الذي حكم بين ٤٢٢ هـ — ٤٦٧ هـ) اللذين كانا يأملان في استعادة مجد الخلافة بعد ان تزعزعت اوضاعها ، بدخول البويهيين وقيام الامارات المستقلة في ارجائها وان كان من المحتمل ان تنصرف الى اي واحد من القائمين بشؤون الدولة (٢) ، الا أنه تترجح استجابته للخليفة القادر بالله ، وبخاصة بعد ان تحدث المؤرخون عن استجابته لطلب القادر بالله قبل ذلك في تأليف مختصر على مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه ، فصنف له كتاب الاقناع في قصة طريفة (٣) فربما كانت بقية كتبه ، ولا سيما السياسة ، على هذه الشاكلة ، وهو الذي قد رأى بعينه الاوضاع السياسية السيئة التي مرت بها الدولة الاسلامية والتمزق الذي اصابها ، والصراع الكبير على السلطة في ارجاء الارض ، بين تلك الامارات فرأى ان يضع كتبه ، ليبلغ كلمة الحق التي يتحملها كل عالم ، وليبين لكل شخص مسؤول حدوده التي يقف عندها فلا يتجاوزها ، وليعيد الحق الى نصابه بعد الضياع ، فيكفوا عما هم فيه من اخلال واهمال .

قيمة كتاب تسهيل النظر واهميته العلمية

تبدو لنا قيمة كتاب تسهيل النظر واهميته العلمية في كونه تأليف رجل واسع الثقافة ، غزير المادة ، فقد اعتمد على مصادر كثيرة ، واستمد من روافد متعددة ، كما سنبين ذلك ان شاء الله .

وهو الى ذلك قد تقلب في معترك الحياة السياسية فدرسها دراسة الخائض لغمراتها والمكتوي بنارها في خضم الاحداث العصيبة ، فلقد شهد عصرا اضطربت فيه الحياة السياسية وتقلبت فيه امور الخلافة بين مد وجزر ، ورفع وخفض ، وكان في تقلده منصب أقضى القضاة ومنصب السفارة بين الدول ما جعله يطلع على احوال

(١) الماوردي : الاحكام السلطانية ص ٣ .
(٢) جب ، هاملتون : دراسات في حضارة الاسلام ص ٢٠٠ .
(٣) الصفدي : الوافي بالوفيات جـ١٢ الورقة ١٥٤ ب .

الملوك وسيرهم اطلاعاً عميقاً ، فجاء كتابه مستخرجاً مما خبره ورآه ، فكان شهادة الخبير بما خبر ، والعليم بما علم .

وهو الى ذلك فقيه واسع الفقه ، كما يتضح ذلك من كتابه (الحاوي الكبير) وقاض شغل منصب القضاء مدة طويلة في بلدان عديدة ، له آراؤه الخاصة في القضاء ، ومفسر له نهجه الخاص في التفسير ، ومحدث يروى عنه المحدثون الحديث ، كل ذلك جعل منه شخصية ذات عقل مستنير ، يجتهد ولا يبتدع ، ويستنبط الاحكام للظواهر المستجدة في عصره ، فاستطاع ان يمزج الفقه الافتراضي بالفقه العملي الواقعي ، فكان حصيلة ذلك ان ترك تراثاً عملياً نافعاً ، ومصدراً اصيلا وضخماً ، لقدر عظيم من التشريعات .

وهو الى ذلك يبحث في ابواب مهمة من ابواب العمران والتمدن ، مما يتصل في العصر الحاضر بما يسمى بعلم الاجتماع ، فلقد بحث في الدولة ونشوئها ، وتأسيس الملك وانواعه وخصائص كل نوع ،وسياسة الملك وتدبيره بعد تأسيسه وغير ذلك من الموضوعات قبل ان يفكر في البحث فيها كثير من المدّعين ، فقد ذكر « ان الدولة تبتدى بخشونة الطباع وشدة البطش لتسرع النفوس الى بذل الطاعة ، ثم تتوسط باللين والاستقامة لاستقرار الملك ، وحصول الدعة ، ثم تختم بانتشار الجور ، وشدة الضعف لانتقاض الامر وقلة الحزم ، وبحسب هذه الاحوال تكون ملوكها في الآراء والطباع » .

كما بحث في الامصار وانواعها ، وما يستديم به كل نوع ، والامور التي تتكفل بصلاحها وعموم الخير فيها ، وما يتوجب على الملك من القيام بادامة مرافقها وتوفير السبل التي تضمن دوام ذلك الصلاح .

وفضلا عن ذلك فانه كتاب تبصير ونصح ، في وقت عز فيه الناصحون ، وكثر فيه المتملقون ، وتهالك فيه المتهالكون على ابواب السلاطين ، وتعالى فيه المتعالون وطغى فيه المتجبرون ، واضطرمت فيه نار الفتنة بين اجزاء الدولة التي انفرط عقدها ، فكانت دويلات صغيرة ، متناحرة متنافسة ، تغلي بالحقد والكبـــد ، وتؤجج نيران تنافسها المطامع والأهواء ، فكانت كتبه خير ناصح ومعين ، وخير هاد ، ليصلح ما فسد ، ويقيم ما اعوج من سير الملوك والامراء ، فكانت كلماته اقوالا حكيمة وتجارب نافعة ، في وقت مناسب ، وتذكيرا حين تنفع الذكرى ، ولاتزال قائمة النفع ملموسة الفائدة حتى لو وصل الانسان قمة المجد والحضارة والعمران .

وهو الى ذلك تأليف اديب شغفه الادب ، واخذ بمجامعه ، فكان كثيرا ما يستشهد بالابيات ذات التعبير الجميل والكلام الغزلي الرقيق (١) ، ولو كان المقام مقام فقه واحكام . ولقد دفعه حب الادب الى ان يدون نصوصاً شعرية ونثرية ذات قيمة في تاريخ الادب ، فقد حفظ لنا نصوصاً كثيرة من اقوال الحكماء والشعراء والادباء وامثالهم وكتاباتهم وربـــط بينها باسلوب أدبي محكم ، ورتبها وبوبها تبويباً رائعاً ، ان كل فقرة من فقرات الكتاب ليصح ان يستشهد بها على مقدرته وبراعته في الكتابة .

مصادر الماوردي في كتابه تسهيل النظر :

استمد الماوردي مادته الغزيرة من مصادر متنوعة ، ووافد عديدة تنبئ عن مقدرة الرجل على الاستيعاب والاحاطة ، فلقد اوتي حافظة غزيرة دفعته الى أن يجعل كتابَهُ نمطاً فريدا يحتوي على كثير من النصوص السياسية والادبية والفقهية :

فقد استشهد بالايات القرآنية الكريمة ثم استشهد بالكثير من الاحاديث النبوية الشريفة وجوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ، والتي قلّ لفظها وعظم معناها ، كمـــا استشهد باقوال بعض الانبياء السابقين ، كسليمان وعيسى عليهم السلام .

واقتبس كثيراً من الآثار والاخبار الموقوفة على الصحابة والتابعين ، فتجد اقوالا لابي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلي بن ابي طالـــب ، وعمر بن عبدالعزيز رضوان الله عليهم .

واستشهد بكثير من الابيات الشعرية منها ما نسبها الى اصحابها ، ومنها ما لم ينسبها ، فمما استشهد به ونسبه الى قائله شعر ابن الرومي والبحتري ، وابي تمام ، وابي نواس ، وابي العتاهية ، والعتابي ، والمعري ، والمتنبي ، وطاهر بن الحسين ، وابنه عبدالله ، وابن ابنه عبيدالله ، وغيرهم وكلهم من شعراء العصر العباسي .

اما الابيات التي لم ينسبها الى قائل ، فقد كانت لشعراء مختلفين ومن ســـائر العصور التي سبقته .

واستشهد باقوال كثيرة من الفصحاء والمترسلين والكتاب ، منهم عبدالملك بن

(١) طبقات ابن السبكي (طبعة الحسينية) ٣٠٨/٣

مروان ، وزياد ، ووهب بن منبه ، وعلي بن عبيدة الريحاني ، وابن المقفع ، والمنصور ، وابن قتيبة ، وجعفر بن يحيى البرمكي ، وابن المعتز ، وغيرهم .

واستشهد باقوال كثير من الحكماء والفلاسفة من العرب والفرس واليونان وامثالهم منهم لقمان ، وأنوشروان ، وأردشير ، وبزرجمهر ، وسابور ، وبهرام جور ، وكسرى ، والاسكندر ، ومعلمه ارسطوطاليس ، وجالينوس ، وسقراط ، وغيرهم ونقد بعض تلك الاقوال وناقشها .

جمع كل هذه الاحاديث والاثار والاقوال والامثال والحكم والرسائل والكتب ، ورتبها ترتيباً عجيباً ، وبوبها في الابواب التي عقدها ، وهو بذلك يمثل لنا مقدرة الفكر العربي الاسلامي على هضم المـــادة الحضارية واظهارها بقالب جديد ، بعد نقدها ومعرفة حقيقتها .

الاصول الخطيّة لكتاب تسهيل النظر :

لكتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر نسختان خطيتان ، فرق الدهر بينهما فاحداهما في مغرب الشمس ، والاخرى في مشرقها ، وتختلف كل واحدة عن الاخرى اختلافاً كبيرا :

النسخة الاولى :

وهي النسخة المودعة في مكتبة (غوتا) في ألمانيا الشرقية وتحتفظ بالرقم (١٨٧٢ غوتا) (١) اشار اليها بروكلمان (٢) وجرجي زيدان (٣) ومصطفى السقا (٤) وسعيد عبدالفتاح عاشور (٥)

وهي نسخة كاملة للكتاب وتقع في ٦٥ ورقة ، بخط نسخ جميل ، في كل صفحة ١٩ سطرا بمعدل ١٣ كلمة في السطر .

جاء في أولها العنوان بما نصه :

كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر ، تأليف أقضى القضاة ابي الحسن علي ابن محمد بن حبيب الماوردي رحمة الله عليه امين ، ثم في ظهر الورقة الاولى جاءت

(١) انظر pertseh W. Die aradischen Mdss der Herzoglichn Bibliothek Zo Gotha No 1872

(٢) انظر Br. G.I. S. 1/668, Encyclop. 3/416

(٣) تاريخ اداب اللغة العربية ٢/٣٨٥ (٤) مقدمة ادب الدنيا والدين ص ١١

(٥) الاحكام السلطانية للماوردي – مقال في مجلة تراث الانسانية المجلد الخامس ٢١–٢٢

بدايتها بما صورته : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي جعل الحق معزّا لمن اعتقده وتوخاه ، ومعينا لمن اعتمده وابتغاه ، وجعل الباطل مذلا لمن آثره وارتضاه ومذيلا لمـــن اظهره واقتفاه ، حمدا يوازن جميل نعمه ، ويضاهي جزيل قسمه ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحابته ، اما بعد فان الله جل اسمه ببليغ حكمته وعدل قضائه جعل الناس اصنافاً مختلفين ، واطوارا متباينين ، ليكونوا بالاختلاف مؤتلفين والتباين متفقين ...الخ .

وجاء في نهايتها قوله :

فان ذلك انفس ذخائره يوم معاده ، وانفع مايخلفه لمن افتدي به

فخير الناس انفعهم للناس ، امدالله عز وجل بتوفيقه وتسديده ، وتكفل بمعونته وتأييده وكان له على الخير ظهيرا مرشدا ، وعلى العدل معينا مسعدا وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

وقد كتب ناسخه بعد ذلك ما نصه .

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله وسلامه . وكان الفراغ في ليلة الاثنين حادي عشر رجب الفرد الحرام المنتظم في شهور سنة ١٠٥٢ هـ على يد افقر العبـــاد واحوجهم الى رحمة ربـــه الفقير عبدالرحمن المكنى بابي هادي ابن محمد بن احمد بن الجبعاني الوقاء الشافعي ، احد العدول بمحكمة مصر القديمة ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين .

ولما كانت هذه النسخة كاملة فقد جعلتها هي الام ، وعليها اعتمدت ، وان كانت كثيرة التصحيف والزلل ، على ما لنا سخها من الخط الجميل .

والنسخة الثانية :

وهي النسخة المودعة في مكتبة كلية الاداب في طهران ، وتحمل الرقم (٩٠ ــ د) (ش ٥ دفتر ٢٣ ب ــ ٢٩ ر) (١) ولم يشر اليها بروكلمان ولا غيره .

وهذه النسخة مختصرة من الكتاب اختصارا شديدا ، الا أنها شملت اغلب موضوعاته ، ووقعت في ١٢ صفحة ضمن مجموع خطي حجمه كبير جدا ، بمعدل ٣٢ سطرا في الصفحة وبمعدل ١٦ كلمة في السطر الواحد ، وبخط فارسي .

(١) انظر : محمد تقي دانش بزوة : فهرست نسخة هاي خطي كتبخانة دانشكده ادبيات طهران (١٣٣٩ جابخانة وانشكاه) شمارة : ١ سال هشتم ص ١٢٨ .

جاء في اولها قولـــه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، قال اقضى القضاة ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري في اثناء خطبته في كتابه الملقب بتسهيل النظر وتعجيل الظفر في اخلاق الملك وسياسة الملك : اما بعد فان الله عز وجل لتبليغ حكمته وعدل قضائه جعل الناس اصنافاً مختلفين ، واطواراً متباينين ، ليكونوا بالاختلاف مؤتلفين وبالتباين متفقين . . . الخ

وجاء في آخرهـــا .

ذكر ان بعض ملوك الفرس ذهب سمعه فبكى ، وقال : لم ابك من ذهابه ، الا لاني كنت اسمع ظلامة المتظلم فانصفه ، فقد صرت لا اسمعها ، وانا اعتاض عنه ببصري وقد حرمت لباس الحمرة الا على المتظلم لأعلم بتظلمه إذا رأيته فانصفه ، فلا خير في ملك لا ينصف الناس ، ولا ينتصف به الناس . قال أقضى القضاة في آخر هذا الكتاب في سياسة الملك : وليكن من دأبه فعل الخيرات اما ابتداء من نفسه ، او اقتداء بالاخيار من سلفه ، فقد قيل : الناس في الخير اربعة اقسام : منهم يفعله ابتداء ، ومنهم يفعله اقتداء ، ومنهم من يتركه حرمانا ، ومنهم . . . فمن يفعله ابتداء فهو كريم ، ومن يفعله اقتداء فهو حكيم ، ومن يتركه حرمانا فهو شقي ، ومن . . . هذا اخر ما جمع من كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر ، والحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله اجمعين .

وقد جاء في الصفحة الاخيرة تملكات منها ما ارخ بسنة ١١٥٣هـ .

وهذه النسخة ظاهرة الحداثة . وهي وان كانت مختصرة افادت في تقويم النص وتصحيح التصحيفات التي وقعت في النسخة الاولى .

واليك نماذج من خطوط هاتين النسختين :

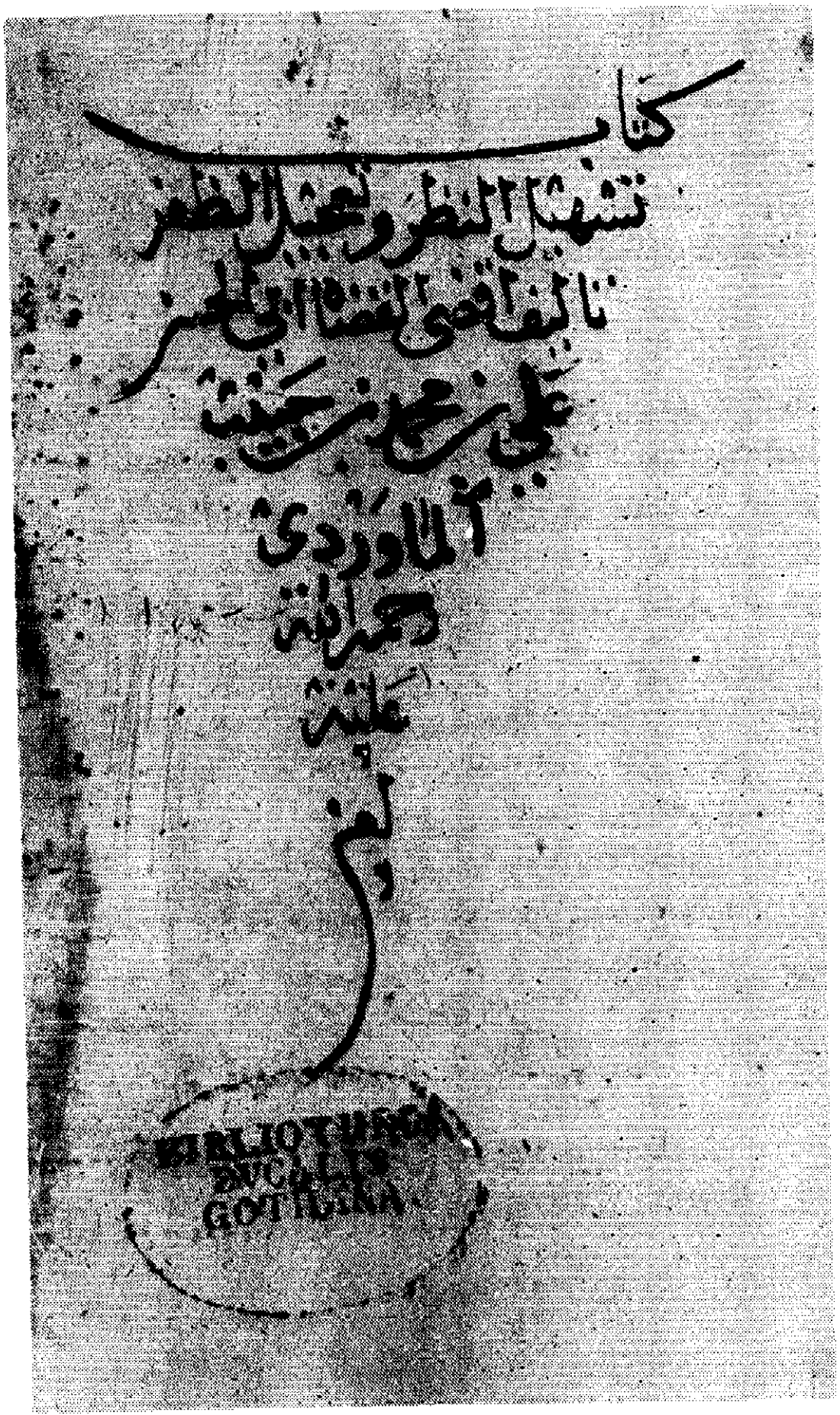

صورة الصفحة الاولى من نسخة مكتبة (غوتا) بالمانيا

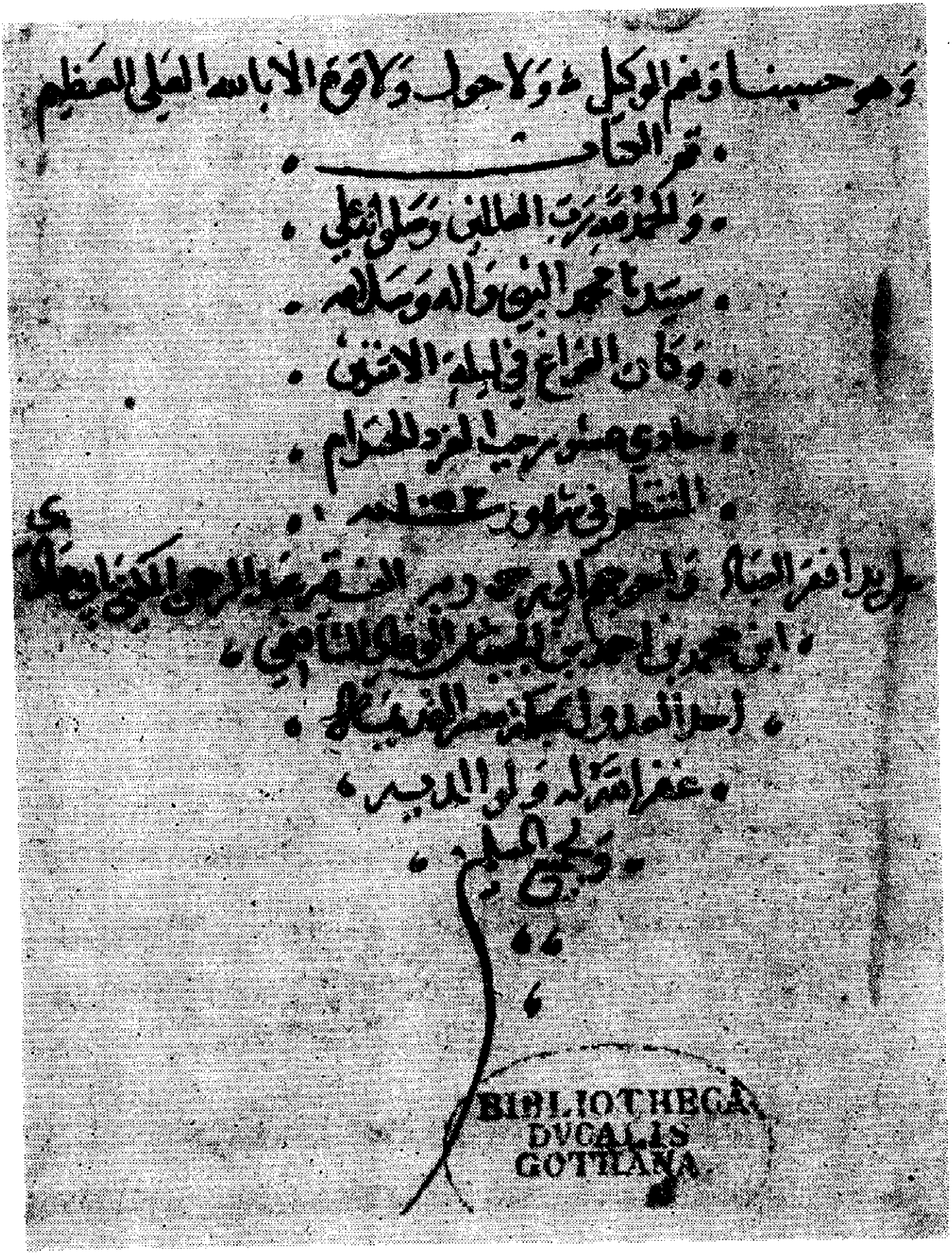

صورة الصفحة الاخيرة من نسخة مكتبة غوتا

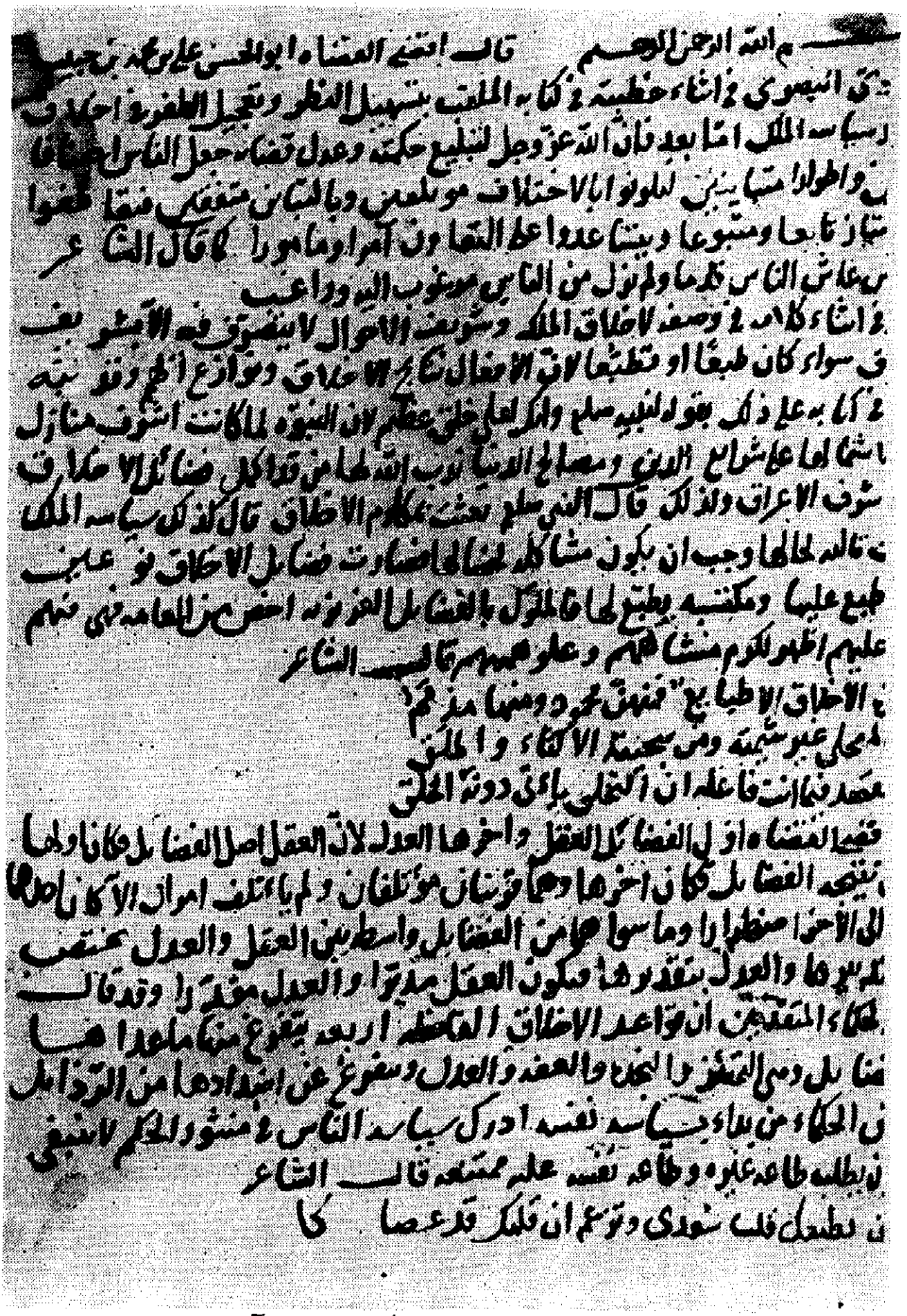

صورة الصفحة الاولى من نسخة مكتبة كلية الآداب بطهران

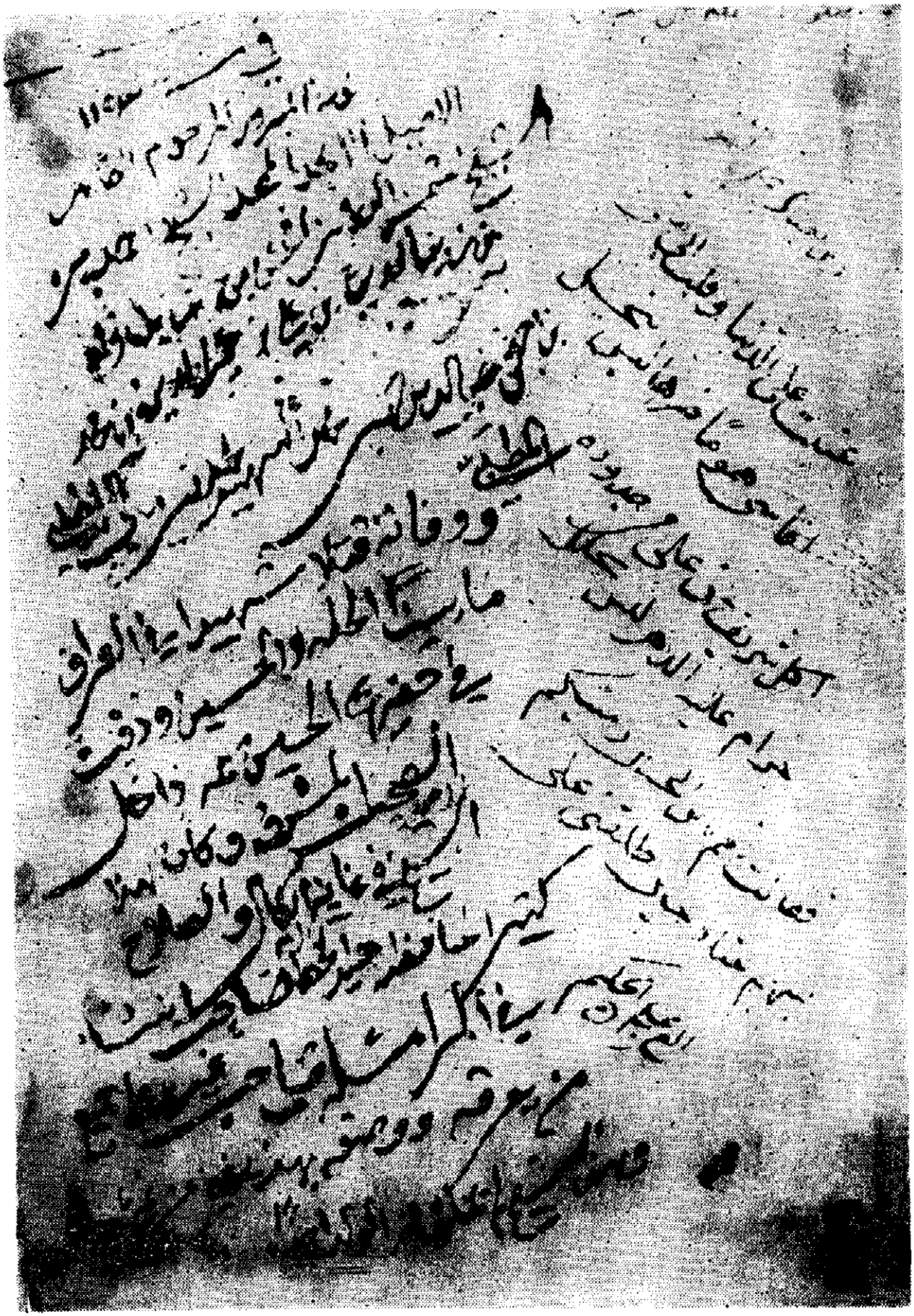

صورة الصفحة الاخيرة من نسخة مكتبة كلية الآداب بطهران

عملي في التحقيق .

لقد كان من فضل الله علي وعلى هذا الكتاب أن يسرّ لهذا الكتاب نسختين كانتا في اطراف الدنيا ، فسعيت في الحصول على صورتيهما ، وما ان توفرت الصورتان حتى قمت بمقارنتهما ، فاتخذت نسخة مكتبة (غوتا) أصلا ، لكونها كاملة غير منقوصة وجعلت نسخة مكتبة كلية الاداب بطهران أصلا ثانوياً ، لكونها مختصرة شديدة الاختصار ، وقد أشرت الى اختلاف النسخ بينهما . وصححت ما يقتضي تصحيحه .

ولما استقامت لي مقابلة النسختين رجعت أول ما رجعت الى كتبه هو ، فوجدت فيها بعض عبارته التي دونها هنا واشرت الى ذلك في مواضعه ، واشرت الى الاختلاف بينهما ، فقد اودع بعضاً من عباراته التي دونها في كتبه : ادب الدنيا والدين والاحكام السلطانية وادب الوزير والامثال والحكم ونصيحة الملوك وغيرها .

ثم رجعت بعد ذلك الى المظان التي توجد فيها مثل هذه المواضيع من الكتب الادبية والتاريخية والحكمية والاخلاقية فلم آل جهدا في المقارنة والاجتهاد ، وتزويد الكتاب ببعض الفوائد والمصادر التي تبحث في ذلك .

ولما كان الكتاب يحوي عددا غفيرا من الاقوال والحكم والامثال والرسائل ، فقد رجعت الى كتب هذه العناوين ، فاستخرجت كثيرا من تلك الاقوال ونسبتها الى قائليها ، واشرت الى مكان وجودها ، واختلا ف بعض الروايات عن بعض ، واثبت بعد المقارنة ما بان لي انه هو التعبير الذي اختاره المؤلف ، واضفت بعض الكلمات او العبارات التي ليست في الاصل جاعلا اياها محصورة بين معكفين [ ] للاشارة الى تلك الزيادة

وقمت بتخريج الاحاديث الكثيرة التي حفل بها الكتاب واشرت الى بعض الكتب التي روتها ما وسعني .

وقمت بتحقيق الابيات المنسوبة الى قائليها وتخريجها بمراجعة دواوين الشعراء الذين ذكرهم ان كان لهم ديوان ، والبحث عن الابيات التي لم ينسبها لقائل ، ونسبت كثيرا منها الى قائليها ما وسعني ، وقد اعانني على هذه المهمة الشاقة ان المؤلف قد يترك نسبة البيت الى قائله اعتمادا على ذكره له في كتاب اخر ، فراجعت

كتبه المطبوعة والمخطوطة كلها ، فاعانني ذلك على معرفة قائلي كثير من الابيات وقد وجدت العون كل العون في كتابيه : الامثال والحكم ونصيحه الملوك اللذين لايزالان مخطوطين .

ثم رجعت الى كتب الاختيارات الشعرية ، والحماسات ، والمجموعات ، والثقافة العامة ، ، فوجدت فيها شيئاً لابأس به في التحقيق والتوثيق والتخريج . الا انني رغم ذلك لم استطع ان اجد لبعض الابيات ذكرا في الكتب التي رجعت اليها نظرا لعدم وجود شاهد لغوي او بلاغي او غير ذلك في تلك الابيات ، ولا سيما اننا نجده يستشهد ببعض الاقوال والابيات التي تشيع على الالسنة ولا يعرف لها قائل .

وقد بذلت من الجهد ما وسعني في البحث عنها فلم افلح ، ولم آل جهدا في ذلك وفي خدمه النص ، وتقويمه ، وتزويده ببعض ما يكون ضروريا له ، والتعريف بالاعلام التي وردت فيه ، وشرح غريبه ، ومصطلحاته ،

ارجو الله ان يجعل فيه النفع لهذه الامة الكريمة،فهو واهب النفع والخير لمن يشاء

محيي هلال السرحان